

علوم اللغة العربية

وصلتها بعلوم الشريعة الإسلامية

بقلم الأستاذ: امحمد بن نبري

شيء آخر دفعني إلى بسط الحديث عن هذه الظاهرة، والتوسع فيها، وهو تعاضم خطرها، وتفاقم أثرها. هذا بالإضافة إلى إدراجها تحت علوم عربية متنوعة كالنحو والصرف والاشتقاق وغيرها. وعلاج هذا الداء يعني الاقتراب من المستوى الصوابي في اللغة فهما وأداء. ولهذا بينت اعتناء العلماء بهذه الظاهرة وكثرة تصنيفهم فيها.

صلة العربية بالشريعة :

لقد أراد الله تعالى لكتابه الكريم أن يكون بلغة العرب المبينة، فوصف كتابه بقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ (1). وقال عز من قائل: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ (2). كما اختار

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد : فهذه مقالة أحاول فيها بيان مكانة علوم اللغة العربية بالنسبة إلى علوم الشريعة الإسلامية، هذه المكانة التي تمثل الرابطة بين الوسائل وبين المقاصد ، أو العلاقة بين العلم وبين العمل، لأن مقتضى الشريعة العمل بها والجريان على أحكامها، ولا يكون ذلك إلا بعد العلم وأهم أركان هذا العلم هو تفهم خطاب الشريعة الذي يقوم على لغتها.

ولم أشأ التوسع في بيان أهمية علوم العربية علما علما، لأن ذلك لا تفي به هذه العجالة، بل أجملت الكلام عليها إجمالا، وتركت تفصيل ذلك لدراسات أخرى إن شاء الله تعالى.

غير أنني ركزت الكلام على شيء له مساس بعلوم العربية كلها أو بعضها، ألا وهو (اللحن).

* أستاذ اللغة العربية بالمعهد الوطني للعلوم الإسلامية بباتنة

الكريم وكلام النبي فهما سليما، بما أوتوه من سلامة في الذوق، واستقامة في الطبع، وصحة في الإدراك، وجودة في القريحة. ولا غرو في هذا فهي لغتهم التي نشأوا عليها وترعرعوا وشبوا في أحضانها. وقد أشار أبو إسحاق الشاطبي (ت 790 هـ) إلى عدم احتياج الصحابة رضي الله عنهم إلى أدوات ولا تعلم معللا هذا بكونهم عربا، وكذلك من لحق بهم ممن ليس لسانه عربيا، كسلمان الفارسي، فقد داخلوهم حتى اكتسبوا لسانهم وعلومه ففهموا الشريعة على ما ينبغي فيها " فكل من اقتدى بهم في تنزيل الكتاب والسنة على العربية - إن أراد أن يكون من أهل الاجتهاد فهو - إن شاء الله - داخل في سوادهم الأعظم، كائن على ما كانوا عليه، فانتظم في سلك الناجية " (5).

غير أنه لما توسعت البلاد الإسلامية ببركة الفتوحات التي خاضها المسلمون، وبعدما دخل في دين الله أقوام من أمم شتى، ذوو أسنة لها أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية مختلفة غالبا عن نظام اللسان العربي بدأ يعلق باللغة العربية بعض من آثار تلك اللغات، فبدأت معالم الانحراف عن النظام اللغوي

سبحانه أن يكون رسوله: ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ من جنس العرب، لحكم يعلمها سبحانه. قال تعالى: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالاته ﴾ (3).

وقال: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾ (4). والقرآن

الكريم مع كلام النبي ﷺ الذي اصطلاح على تسميته مع أفعاله وتقديراته، بالسنة النبوية، هما الأصلان العظيمان اللذان نشأت عنهما العلوم الإسلامية، وعليهما مدارها.

هذه العلوم التي بدأ تدوينها منذ القرن الأول الهجري. وتفرعت فيما بعد لتشمل علوم القرآن وعلوم الحديث وعلم الفقه وعلم أصول الفقه وعلم الكلام وعلم التصوف وغيرها...

وكان تدوين هذه العلوم باللغة التي نزل بها الوحي، ونطق بها المصطفى ﷺ. فصارت العربية بذلك لسانا للشارع وأداة للتعامل مع الشريعة. ولقد كان أهل الصدر الأول من الإسلام يفهمون القرآن

